المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor isi 1.651

العدد الثالث والعشرون / شباط 2024

الوظائف السياسية والإدارية التي تولاها الفقهاء في مصر والشام خلال عصر المماليك الجراكسة

اعداد:

احمد عبدالله حسين

إشراف الدكتور جاسم اللطيف

جامعة الجنان

طرابلس_ لبنان

كلية الاداب والعلوم الانسانية

قسم الدراسات العليا

المقدمة

عرف عصر صلاطين المماليك ثلاث انواع من الوظائف وهي الوظائف السياسية والوظائف الإدارية والوظائف الدينية والذي يهمنا في هذا البحث هو الوظائف السياسية التي تولاها الفقهاء والوظائف الإدارية التي تولاها الفقهاء في ذلك العصر وكانت هذه الوظائف من اجل الوظائف وأرفعها رتبة وقد قسمت هذا البحث إلى مبحثين المبحث الأول كان عن الوظائف السياسية التي تولاها الفقهاء وكانت تضم هذه الوظائف وظيفة الوزارة ، كذلك تناولت دور الفقهاء في توليهم منصب ناظر الجيش، أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه دور الفقهاء في تولي الوظائف الادارية وكانت هذه الوظائف تضم وظيفة ناظر الخاص والتي احدثها السلطان محمد بن قلاوون ، وكذلك تناولت وظيفة كاتب السر والذي يطلق عليه في عصر المماليك صاحب ديوان الأنشاء.

ISSN: 2709-5312

الملخص

الوظائف السياسية والإدارية التي تولاها الفقهاء في مصر والشام خلال عصر المماليك الجراكسة

مقدم من قبل الطالب/ ابراهيم محمد خلف

بإشراف الدكتور/ جاسم اللطيف

يهدف البحث إلى دراسة الوظائف التي تولاها الفقهاء في عصر المماليك الجراكسة وكانت هذه الوظائف مقسمة إلى ثلاث اقسام منها وظائف سياسية حيث كان للفقهاء دور في تولي هذه الوظائف ومنها وظيفة الوزارة والقسم الثاني من الوظائف هي وظائف ادارية فقد تولى هذه الوظائف الفقهاء والعلماء وكان لهم دور بارز في ادارة الدولة المملوكية، هذه البحث من ثلاث مباحث، تناول المبحث الاول الوظائف السياسة وكانت تشمل، وظيفة الوزارة، ووظيفة ناظر الجيش، أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه الوظائف الادارية التي تناولها الفقهاء وتشمل وظيفة ناظر الخاص، وكاتب السر

المقدمة

عرف عصر صلاطين المماليك ثلاث انواع من الوظائف وهي الوظائف السياسية والوظائف الإدارية والوظائف الدينية والذي يهمنا في هذا البحث هو الوظائف السياسية التي تولاها الفقهاء والوظائف الإدارية التي تولاها الفقهاء في ذلك العصر وكانت هذه الوظائف من اجل الوظائف وأرفعها رتبة وقد قسمت هذا البحث إلى

ISSN: 2709-5312

مبحثين المبحث الأول كان عن الوظائف السياسية التي تولاها الفقهاء وكانت تضم هذه الوظائف وظيفة الوزارة ، كذلك تناولت دور الفقهاء في توليهم منصب ناظر الجيش، أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه دور الفقهاء في تولي الوظائف الادارية وكانت هذه الوظائف تضم وظيفة ناظر الخاص والتي احدثها السلطان محمد بن قلاوون ، وكذلك تناولت وظيفة كاتب السر والذي يطلق عليه في عصر المماليك صاحب ديوان الأنشاء.

المبحث الأول الوظائف السياسية التي تولاها لفقهاء

أولاً: الوزارة : هي من أجل الوظائف وأرفعها رتبة ، فمتوليها يعد الحاكم الثاني في الدولة ، لكن تدخل المماليك في شؤون الإدارة ، جعلهم أصحاب القوة والسلطة ، ومع وجود النائب الكافل [1] في السلطنة وكان من يتولى هذا المنصب شخص من المماليك جعل له من القوة والتسلط مما جعله يتدخل في أمور الحكم ، وبذلك أصبح الوزير أقل منه رتبة، حيث سحب هذا النائب معظم اختصاصات وظيفته، وهذا النائب يوصف بانه سلطان بيده تعيين الامراء المماليك في المناصب ، وتعيين الوظائف الديوانية والدينية والتصرف المطلق في كل أمر ، وبذلك يقتصر عمل الوزير على الشئون المالية[2]

وكانت الوزارة في مصر منذ قيامها حتى عهد المماليك فردية، وكان يقام لتعيين الوزير حفل كبير يقرأ فيه التقليد، أما في عهد المماليك فلا نجد لتقليد لوزراء المماليك أو العبارات الرنانة، إنما بعض النصح والأوامر، وفي هذه المناسبة ترسل الأخبار إلى جميع أجزاء الدولة الاسلامية بتولي الوزير[3] حيث أن منصب الوزارة قد تراجع ، وقلة مكانة الوزارة في عصر دولة المماليك الجراكسة ، وذلك لأن السلاطين زاحموا العلماء في

ISSN: 2709-5312

تولي هذا المنصب ، فإذا كان الوزير من أرباب الأقلام يطلق عليه لقب (الصاحب) وإذا كان من أرباب السيوف فيطلق عليه أمير[4] وكان هناك للعلماء تدرج في الوظيفة حتى يصل إلى منصب الوزير، حيث يعمل في بداية الأمر في الوظائف الديوانية الصغرى مثل الكتابة ، ثم يصل إلى وظيفة شاد الدواوين[5] وهي من الوظائف الكبيرة في عصر المماليك الجراكسة ، ثم يتدرج حتى يصل إلى وظيفة وزير[6] وقد مرت وظيفة الوزارة بتطورات عدة في عصر المماليك ، فعندما لمسوا من طبقة المعممين من أهمية ونفوذ داخل المجتمع المصري فقد اعتمدو عليهم في كثير من الوظائف وكانت الوزارة على رأس هذه الوظائف [7]

وفي عهد السلطان برقوق، ضعف أمر الوزارة والوزير وأصبح قصارى نظر الوزير هو التحدث عن المكوس وتحصيلها وصرفها في ثمن اللحم وحوائج المطبخ ، وقد عبر عن وضع الوزير في ذلك الوقت الوزير سعد الدين نصر الله بن البقري المتوفي سنة(799هـ/ 1396م) بقوله: انحط وضع الوزير فالوزارة اليوم عبارة عن شراء اللحم والحطب وحوائج الطعام ، ثم يعلق المقريزي في كتاب الخطط على ذلك قائلاً " وما رأينا الوزارة من بعد انحطاط رتبتها يرتفع قدر متوليها إلا إذا أضيفت إلى الأستادارية وأما من ولي الوزارة بمفردها، سيما من أرباب الأقلام، فإنما هو كاتب كبير يتردد ليلا ونهارا إلى باب الأستادار، ويتصرف بأمره ونهيه" [8] وهكذا ظل حال الوزارة يسير من سيء إلى أسوء ولم يعد للفقهاء دور واضح فيها بسبب مزاحمة امراء المماليك لهذا المنصب ، ولكن هناك حالات استثنائية قد تولى فيها الوزارة بعض الفقهاء فمن هؤلاء العلماء الذين تولوا الوزارة في عصر المماليك الجراكسة هم

-1-الشيخ كريم الدين عبد الكريم بن مكانس، كان ناظر الدولة وتولى الوزارة سنة (783هـ/ 1381م)[9] وبقي في هذا المنصب حتى سنة (787هـ/1385م) حيث طرد من هذا المنصب ودخل السجن وعذب بسبب رفع الضرائب على التجار ورفض المكوس عليهم[10]

2-الشيخ إبراهيم بن عبد الله القبطي الوزير المعروف بكاتب أرلان وخدم الأمراء فاشتهر بالكتابة والضبط إلى أن اتصل ببرقوق في إمرته فخدم في ديوانه فلما تسلطن قلده الوزارة فباشرها بكفاية تامة حتى أنه لما وزر لم يجد في الحاصل درهما ولا قدحا من الغلال ولما مات وجد من النقد في الحواصل(ألف ألف درهم) و(ثلاثمائة أردب) و(ستة وثلاثين ألف راس من الغنم) إلى غير ذلك وقيل أن جملة ما تركه حاصلا ما قيمته (خمسمائة ألف دينار) فكتب بها أوراقا في مرضه فأرسل بها إلى السلطان ويقال أنه ناولها للسلطان سرا لما عاده في مرضه وكان في مدة وزارته معه لم يغير زيه ولا مركوبه ولم يكن عنده في بيته غير جوار قلائل فإذا ركب أغلق بابه وحمل المفتاح معه وكان لا يمكن أحدا من الركوب معه ولا يركب إلا بغلامه فقط توفي سنة(789هـ/ 1387م)[11]

3- الشيخ بدر الدين محمد بن محمد الطوخي استقر في الوزارة في ربيع الأول من سنة(799هـ/ 1396م) وصرف سعد الدين ابن البقري وصودر ابن البقري على مال كثير جداً أفضى به الطلب إلى إهلاكه فباشر الطوخي الوزارة بصرامة ومهابة وفي ولايته هذه ابطل مكس الغلة وبقي في الوزارة حتى عزل سنة(801هـ/ 1398م) توفي سنة(807هـ/ 1404م)[12]

ISSN: 2709-5312

4- الشيخ إبراهيم بن بركة المصري سعد الدين ابن البشيري ولد في ذي القعدة سنة (766هـ/ 1364م) وخدم لما ترعرع في بيت ناظر الجيش تقي الدين بن محب الدين، ثم تنقل في الخدم عند الأمراء وغيرهم إلى أن ولي نظر الدولة، وباشر عند جمال الدين واعتمد عليه في أمر الوزارة ثم استقل بالوزارة في سنة (812هـ/ 1409م) فلزم منزله إلى أن مات في صفر سنة(816هـ/ 1413م)، ولم يتفق له عند القبض أن يضرب ولا مكنت منه أعداؤه، وكان جيد الإسلام، وهو الذي جدد الجامع بالقرب من منزل سكنه ببركة الرطلي، وكان عارفا بالمباشرة، وسلك طريق الوزراء السالفين من الحشمة والترتيب[13]

5- الشيخ عبد الرزاق بن عبد الله بن عبد الوهاب، الصاحب الوزير تاج الدين بن شمس الدين بن علم الدين، الشهير بابن كاتب المناخ، وزير الديار المصرية ،كان رئيساً، عاقلاً، عارفاً بالكتابة والمباشرة، باشر عند جماعة من الأمراء والأعيان إلى أن استقر في استيفاء ديوان المفرد، ثم نقل إلى نظر الديوان بعد عزل تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم وفي يوم الاثنين في الثالث عشرين من محرم سنة(824هـ/ 1421م) أخلع عليه الأمير ططر أمر الوزارة ، وأفيض عليه تشريف الوزر، وهو يمتنع الامتناع الكلي، فلم يلتفت إليه، وألبس الخلعة ونزل إلى داره وزيراً، عوضاً عن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله الفوي، فبقي الشيخ عبد الرزاق المعروف بابن كاتب المناخ في الوزارة إلى يوم الاثنين من شهر ذي الحجة سنة (825هـ/1421م) عجز عن القيام بكلف الدولة واختفى من يومه، فخلع على الأمير أرغون شاة النوروزي الأعور[14]، واستقر في الوزر عوضه مضافاً إلى الإستدارية، واستمر تاج الدين مختفياً إلى العاشر

من ذي الحجة من السنة فظهر في القلعة، فعفى السلطان عنه، ولزم داره بطالاً على مال حمله إلى الخزانة الشريفة [15]

4- أما الشيخ كريم عبد الكريم فقد تولى الوزارة سنة(826هـ/ 1422م)، قيل إن الصاحب كريم لما نزل إلى داره وعليه خلعة الوزر ثم دخل إلى والده الصاحب تاج الدين هذا ليقبل يده، فقال له الصاحب تاج الدين يا ولدي أنا لما وليت الوزر كان معي نيف على خمسين ألف دينار غرمتها وركبتني الديون، وأنت رجل فقير تسد من أين فقال له ولده عبد الكريم، أسد من أضلاع المسلمين، فصاح الصاحب تاج الدين عليه وقال، اخرج من وجهي، وباشر الصاحب كريم الدين رحمه الله الوزر سنين عديدة وسار فيها أحسن سيرة بالنسبة إلى غيره[16]

5-الشيخ عبد الوهاب بن الشمس نصر الله بن الوجيه توما، الوزير تاج الدين القبطي الأسلمي، الشهير بالشيخ الخطير، وهو لقب لوالده الشمس نصر الله، مولده بالقاهرة، وبها نشأ على دين النصرانية، وبرع في قلم الديونة والمباشرة، وخدم في عدة جهات، ثم أظهر الإسلام، واتصل بخدمة الملك الأشرف برسباي لما كان أميراً، فلما آل أمره إلى السلطنة رقاه حتى جعله ناظر الإسطبل السلطاني، بعد القاضي بدر الدين محمد ابن مزهر، ثم أضاف إليه التحدث في إقطاع المقام الناصري محمد بن السلطان الأشرف برسباي، ثم من بعده لأخيه الملك العزيز يوسف، ثم أضاف إليه عدة جهات أخر، وكان السلطان الأشرف برسباي، ظنيناً بمعرفته ومباشرته إلى أن استعفى الصاحب جمال الدين يوسف بن كريم الدين عن الوزر وأعفى، طلبه السلطان الأشرف برسباي، في يوم الثلاثاء الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة (838هـ/ 1434م) فوض أمر الوزارة إلى الشيخ عبد الوهاب وباشر هذا الشيخ بعجز وتعب وقلة سعادة مع طيش وخفة وحدة مزاج

وصـياح، قيـل إنـه كـان يومـاً فـي دسـت مباشـرته بقاعـة فـتح الله الصـغيرة فـازدحم النـاس بالقاعـة لقضـاء حـوائجهم علـى العـادة مـن غيـر زيـادة وازدحـام، فلمـا نظـر ذلـك ضـاق خلقـه وأمـرهم بالـذهاب فلـم يلتفتـوا لقولـه، فإنـه كـان غيـر مهـاب فـي الأعـين فقـام علـى الفـور علـى بـاب القاعـة وجمـع مـا كـان ببـاب القاعـة مـن الـزراميج والقباقيـب والوسـخ وخـرج بهـم إلـى البـاب البرانـي وأرماهم ثم عاد وقعد في مرتبته[17]

6- الشـيخ عبـد الوهـاب بـن عبـد الـه بـن موسـى بـن أبـي شـاكر بـن أحمـد بـن شـرف الدولـة ، الصـاحب الـوزير تقـي الـدين بـن الـوزير فخـر الـدين ابـن الـوزير تـاج الـدين بـن علـم الـدين بـن تـاج الـدين، القبطـي الأصـل، المصـري الحنفـي، ولـده فـي القـاهرة سـنة(770هـ/ 1368م) وبهـا نشـأ، وتعلـم قلـم الديونـة، وتفقـه علـى مـذهب الإمـام الأعظـم أبـي حنيفـة رضـي الله عنـه، وكـان صـحيح الإسـلام، وتـولى فـي عهـد السـلطان الناصـر فـرج بـن برقـوق نظـر الـديوان المفـرد، ثـم نظـر الخـاص، ثـم عـزل فـي عهـد السـلطان المؤيـد شـيخ المحمـودي عـن وظيفـة نظـر الخـاص ثـم ولـي الـوزارة بالـديار المصـرية إلـى أن تـوفي بالقـاهرة فـي يوم الخميس الحادي عشر من ذي القعدة سنة (819هـ/ 1416م)[18]

لـم يكـن وضـع المعممـين فـي وظيفـة الـوزارة مسـتقراً فكـان الـوزير يعـزل وتعـاد ولايتـه ويتكـرر ذلـك مـرات ويبـدو أن السـبب فـي هـذه الظـاهرة يرجـع إلـى محاولـة السـلاطين اسـتنزاف أمـوال هـؤلاء امـا عـن طريـق المصـادرة بعـد العزل أو الرشوة قبل الولاية فمن ذلك أن

7- الشـيخ عبـد الكـريم بـن الرويهـب، الصـاحب الـوزير كـريم الـدين القبطـي المصـري، المعـروف بـابن الرويهـب تـولى الـوزارة سـنة(778هـ/ 1376م) عـن طريـق البـذل والرشـوة فقـد دفـع مبلـغ مائـة ألـف درهـم لتـولي هـذه الوظيفـة [19] وقـد وزر ثـلاث مـرات، ولـم يـرزق السـعادة فـي وزارتـه،

وحصل له محن، ونكب أكثر من مرة، ثم عزل ولزم داره إلى أن توجه إلى بلاد الصعيد فمرض بها، وانحدر في مركب عائداً إلى القاهرة فتوفي بها في السابع والعشرين من شهر رمضان سنة (784هـ/ 1382م)[20]

ثانياً: وظيفة ناظر الجيش

هو احد الفقهاء الموظفين في دولة سلاطين مماليك الجراكسة وكانت هذه الوظيفة موروثة عن النظم الأيوبية ، حيث ان صاحبها كان مسئولاً عن اقطاعات الاجناد[21] وقد أختص صاحبها في عصر سلاطين المماليك بأمر الاقطاعات في مصر والشام ومشاورة السلطان عليها ، والتحدث في ارزاق الجيش وإحصاء الجنود للأرزاق والقتال وقد عاونه في هذه الوظيفة فريق من الكتاب كصاحب ديوان الجيش وكتابه وشهوده ، وصاحب ديوان المماليك وكاتب المماليك وشهود المماليك[22]

وقد كان لناظر الجيش في العصر المملوكي المكانة السامية والسلطان النافذ في حال إذا كان صاحبها ذات شخصية قوية فالفخر ناظر الجيش في عصر السلطان محمد بن قلاوون قد تسلط على الناس وصادرهم ثم عاقبهم ، وقيل أنه لما مات لعنه السلطان الناصر قلاوون وسبه وقال ، أن الفخر له خمس عشر سنة ما يدعني أعمل ما أريد[23] ومن الفقهاء الذين تولوا وظيفة ناظر الجيش في عصر المماليك الجراكسة هم .

1-الشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن محب الدين، وهو من الفقهاء الذين تولوا وظيفة ناظر الجيش وتعرضوا للضرب والإهانة من قبل السلطان برقوق لأنه زاد من أقطاع زامل أمير آل فضل[24] فأمر السلطان برقوق

بعقوبته ، ولم يتحمل الضرب فمات من أثر التعذيب سنة(786هـ/ 1384م)[25]

2- الشيخ جمال الدين محمود بن محمد القيصري العجمي تولى وظيفة ناظر الجيش سنة(791هـ/ 1388م) ثم عزل عنها ثم تولاها سنة(794هـ/ 1392م) بعد ان بذل للسلطان الظاهر برقوق في ذلك الوقت ما يفوق الوصف [26] وبقي في هذه الوظيفة حتى توفي سنة(799هـ/ 1396م)[27]

3- الشيخ إبراهيم بن عبد الوهاب، الرئيس سعد الدين أبو الفضائل الشهير بابن النجيب القبطي الميموني كان من أعيان الكتبة، وباشر في عدة جهات، ثم تولى ناظر الجيوش بالديار المصرية حتى توفى سنة (795هـ/1392م)[28]

4- الشيخ عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الكريم بن أبي طالب بن علي المعروف بابن عبد العزيز، النستراوي الأصل المصري ولد سنة (736هـ/ 1335م) بنستراوة من أعمال القاهرة. وقدم القاهرة على عمه بدر الدين حسن بن عبد العزيز بن عبد الكريم ، وهو يباشر بديوان الجيش ، فنشأ تحت كنفه، وورثه لما توفي في سنة 774هـ/ 1372م)، وخدم في ديوان الجيش إلى أن ولي نظر الجيش، عوضاً عن جمال الدين محمود العجمي سنة (792هـ/ 1389م) فباشر وظيفة ناظر الجيش مدة فعزل عنها ، واستمر إلى أن توفي في شهر ربيع الأول سنة (807هـ/ 1404م)[29]

5-الشيخ سعد الدين ابراهيم بن غراب تولى وظيفة ناظر الجيش سنة(799هـ/ 1396م) ونظر الخاص والوزارة وكانت توليته لهذه الوظائف بالتتابع[30]

6- الشيخ بدر الدين حسن بن نصر الله تولى وظيفة ناظر الجيش سنة(808هـ/ 1405م) كان له رواتب وأنعام كثيرة وكان كثير ما يتعرض للمصادرة ، توفي سنة(846هـ/ 1442م)[31]

المبحث الثاني الوظائف الإدارية التي تولاها الفقهاء

أولاً: وظيفة ناظر الخاص

ان هذه الوظيفة احدثها السلطان محمد بن قلاوون سنة(713هـ/ 1313م) وكان صاحب هذه الوظيفة مختص بأموال السلطان والخزانة السلطانية في قلعة الجبل ، وكان لصاحب هذه الوظيفة معاونون من الموظفين وهم مستوفي الخاص وناظر الخزانة الخاصة[32]

وقد تمتع الفقهاء الذين تولوا هذه الوظيفة بمكانة عالية لدى سلاطين دولة المماليك الجراكسة ، حيث أن صاحب هذه الوظيفة أختص بالشؤن المالية للسلطان ، ولذلك كان مقرباً من السلطان أكثر من أي موظف اخر فقد كان يتحدث معه السلطان في كل ما يريد أن يطلق أو ينعم به على خواصه وجواريه ومن يختاره ، ثم يكلف الوزير بحمل ما يطلبه ناظر الخاص[33]

وقد مثل العلماء من الاقباط والمسالمة اغلب نظار الخاص في مصر في عصر سلاطين المماليك ، ويرجع ذلك إلى مهارتهم في الاعمال الحسابية وقلم الديونة ، بالإضافة إلى أن الاقباط والمسالمة كانوا يمثلون الفئة التي وثق بها السلاطين والأمراء لإدارة أموالهم في عصر رأى كل منهم في صاحبة سنداً له فنظار الخاص من العلماء لم يتورعوا عن جمع الاموال عن طريق فرض الضرائب بالإضافة إلى المصادرات [34]

وأول من تولى ناظر الخاص في عصر مماليك الجراكسة هو

1-الشيخ سعد الدين بن غراب هو أول العلماء الذين تولوا ناظر الخاص وناظر الجيش والاستادارية ، وقد دفع ابن غراب للسلطان فرج برقوق رشوة عشرين ألف دينار من اجل البقاء في هذه المناصب [35] وبقي في هذا المنصب حتى توفي سنة (808هـ/ 1405م)[36]

2-الشيخ إبراهيم بن عبد الرزاق، القاضي الأمير سعد الدين بن علم الدين ،بن شمس الدين الشهير بابن غراب، أصله من أولاد الكتبة الأقباط بالإسكندرية، ثم اتصل بخدمة الأمير محمود بن علي[37] الأستادار واختص به حتى صار عارفا بجميع أحواله، ثم بسفارته ولي نظر الخاص عوضا عن سعد الدين أبي الفرج بن تاج الدين موسى وذلك في يوم الخميس تاسع عشر ذي الحجة سنة (798هـ/ 1395م) وقد مارس هواية مصادرة الاموال وكان ممن صودر على يده الأمير جمال الدين محمود الاستادار فقد أجر عليه انواع العذاب ، واظهر الكثير من كنوزه وعند ما تسلطن الناصر فرج بن برقوق سنة(801هـ/ 1398م) ولاه نظر الجيش مضافاً لنظر الخاص وصار ابن غراب صاحب الحل والعقد في دولة المماليك الجراكسة ، حتى قبض عليه في سنة (802هـ/ 1398م) وصودرت امواله ثم افرج عنه وعادا إلى وظائفه ثم قبض عليهم مرة ثانية وأعتقل وقيل أنه غرم هذه المرة ألف ألف درهم [38]

3- الشيخ شمس الدين عبد الله المقسي، استقر في وظيفتي الوزارة وناظر الخاص سنة (803هـ/ 1400م) فتك أيضاً في الناس، وساءت سيرته، وأخذ أموال تجار الكارم [39] ، وظلم وأفحش، فعزل من وظيفة

ISSN: 2709-5312

ناظرالخاص وتولى بدله، سعد الدين ابن البقري في يوم الخميس الثالث من شهر رمضان من السنة[40]

ثانياً: وظيفة كاتب السر

أن وظيفة كاتب السر عرفت منذ العصر الاسلامي الاول ، أما في عصر المماليك في مصر والشام فكان كاتب السر يسمى صاحب ديوان الأنشاء ، ومن الناس من يطلق عليه ناظر ديوان الانشاء ، أن اهم اعمال كاتب السر هي قرأت الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها [41] وكان يلازم كاتب السر عدد من الموظفين على رأسهم كاتب الدست[42] ثم كتاب الدرج[43] ومن أهم العلماء الذين تولوا وظيفة كاتب السر في عصر المماليك الجراكسة

1-الشيخ علي بن عيسى بن موسى بن عيسى بن سليم الكركي علاء الدين، تولى وظيفة كاتب السر في عهد السلطان الظاهر برقوق، سنة(792هـ/ 1389م) وبقي في هذا المنصب حتى سنة(794هـ/ 1391م) شغل علاء الدين الكركي رئاسة كِتابة السر لمدة عامين احتفظ خلالها بصلات حسنة مع مرؤوسه السلطان الناصر برقوق، نجح في عمل إدارته توفي سنة(794هـ/ 1391م)[44]

2- الشيخ القاضي فتح الدين فتح الله التبريزي أصله يهودياً من يهود بغداد اسلم وهو صغير كان في بداية حياته يعمل عطاراً ، وكان عمه بديع رئيس الأطباء ، فتعلم صنعة الطب منه ، ثم ترقى إلى ان أتصل بالأمير شيخ المحمودي في عهد السلطان برقوق وسلم له الامير شيخ المحمود جميع اموره ، وهو الذي كان يتحدث في

اقطاعة ، فتزوج شيخ المحمود أمه ، فسعى له شيخ المحمود عند السلطان الظاهر برقوق فولاة وظيفة كاتب السر وذلك سنة (801هـ/ 1398م) وظل في وظيفة كاتب السر حوالي سبعة سنوات إلى سنة(808هـ/ 1405م)، فخرج منها عندما تسلطن الناصر فرج برقوق ثم عاد إليها سريعا في الثامن من ذي الحجة سنة (808 هـ/ 1405م) وبقي فيها إلى أن توفى في الثالث عشر من شوال لسنة (816هـ / 1414م) [45]

ان ما يلاحظ على كاتب السر القاضي فتح الدين التبريزي انه كان ينتمي إلى أهل الذمة وانه أحد شخصيات الطائفة اليهودية ، نستدل على ذلك من اسمه الإسرائيلي في كتب التراجم [46]

3- شرف الدين محمد الدماميني، هو محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن سليمان السكندري المالكي واشتغل بالعلم فبرع في الفقه وأصوله والعربية وغلب عليه الحساب ثم قدم القاهرة وولي حسبة القاهرة في رمضان سنة (797هـ/1394م) عوضا عن البهاء بن البرجي[47] فدام فيه أربعة أشهر ثم صرف وأعيد بعد أيام وباشر قليلا في اشتداد الغلاء وتشحط الحوانيت من الخبز ثم تولى وظيفة وكالة بيت المال ونظر الكسوة في رجب سنة(798هـ/1395م) ثم أضيفت إليه الحسبة، ثم سعي في تولي وظيفة كتابة السر بقناطر ذهب وهو مبلغ قدره عشرة آلاف دينار يدفعها لسلطان الظاهر برقوق [48] فلم يستطع الدماميني دفع هذا الملغ فتولاها الشيخ فتح الله بن معتصم الداودي بعد دفع المبلغ [49]

4- الشيخ ناصر الدين أبو المعالى محمد ابن القاضى كمال الدين محمد بن عز الدين بن عثمان ابن كمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن هبة الله الجهنى ،الحموى الشافعى، المعروف بابن البارزى ، ولده في مدينة حماة يوم الاثنين في الرابع من شوّال سنة (799هـ/1396م) ، نشأ تحت كنف

أخوالـه، وحفـظ القـرآن الكـريم، وكتـاب الحـاوى فـى الفقـه، وطلـب العلـم، وتفقّـه بجماعـة، وبـرع فـي الفقـه والعربيـة والأدب والإنشـاء، وتـولى قضـاء حمـاة، ثـم ولـى وظيفـة كاتـب السـر فـي عهـد السـلطان المؤيـد شـيخ المحمـودي لمـدة ثمانيـة أعـوام مـن سـنة(815هـ/ 1412م) حتـى تـوفي سـنة(824هـ/ 1421م) [50]

وكـان هـذا القاضـي يحـتفظ بصـلات وثيقـة مـع السـلطان المؤيـد شـيخ المحمـودي، عنـدما كـان أميـرا بالشـام سـاعده علـى ترشـيحه لتـولي هـذه الوظيفـة الكبـرى، إلا ان المعرفـة الأدبيـة للقاضـي ابـن البـارزي وتمكنـه مـن صـناعة الكِتابـة الانشـائية، فضـلا عـن قدرتـه الإداريـة فـي تسـيير الوظـائف المختلفـة واضـحة، حيـث كـان يشـغل قبـل تكليفـه بكِتابـة السـر للـديار المصـرية، وقضـاء الشـافعية بحمـاة، وديـوان المكتبـات فيهـا، وشـغل مـن قبـل قضـاء الشـافعية فـي حلـب أيـام نيابـة المؤيـد شـيخ المحمـودي [51] ، وعنـد تسـلمه السـلطنة صـحبه إلـى مصـر واسـتقر فـي موقعـه الخـاص [52] غيـر ان كـل هـذه الأسـباب المسـاعدة لابـن البـارزي لـم تحقـق لـه ولايـة ديـوان كاتـب السـر إلا بعـد دفعـه الرسـم المقـرر لمـن يتقـدم لشـراء منصـب الولايـة وقـد بـدأ عملـه بدايـة حسـنة، لكنـه بمـرور الـزمن مـال إلـى الرشـوة وطلـب الحـال، ولـذلك قـال عنـه السـخاوي: (باشـر كِتابـة السـر بوجـه طلـق، وجـاه مبـذول، إلا انـه فـي أواخـر أيامـه افحـش في الارتشاء على الوظائف وكان شديد العصبية لإصحابه) [53]

5- الشيخ علم الدين داود بن الكويز كان من نصارى الكرك ثم دخل الإسلام وخدم كاتبا عند قاضي الكرك، عماد الدين أحمد المقيري. فلما قدم إلى القاهرة. وصل في خدمته وأقام ببابه [54] ، وقد تولى وظيفة كاتب السر سنة(824هـ/ 1421م) وكانت ولايته على هذه الوظيفة لمدة سنتين متتاليتين وخلال هذه السنوات تسلطن على مصر ثلاث سلاطين وهم السلطان احمد بن المؤيد شيخ المحمودي، وابنه الملك الصالح محمد ، وأخيرا في بداية عهد الملك الاشرف برسباي[55]

5- الشيخ جمال الدين يوسف بن صفي الكركي من أسرة مسيحية حديثة العهد بالإسلام من أهل الكرك، عمل والده كاتبا عند قاضيها عماد الدين إلى ان توفي، فخلفه ولده جمال الدين يوسف، الذي صحبه القاضي عماد الدين الى القاهرة واتصل بعلم الدين داود اليهودي أيام نظارته لديوان الجيش والذي توسط عند السلطان المؤيد شيخ المحمودي لينقله من كِتابة الشام إلى نظر الجيش بطرابلس، ثم عاد إلى القاهرة فحسنت علاقته بالسلطان الأشرف برسباي والذي وعد بمال كبير إذا ولي كِتابة السر بالديار المصرية سنة(826هـ/ 1422م) [56] لقد وصف المقريزي ولاية جمال الدين يوسف الكركي بانها كانت من اقبح حادثة رأيناها [57] فيما عدها ابن تغري بردي من غلطات الملك الاشرف وقبح جهله[58]

6-الشيخ بدر الدين محمد بن مزهر الدمشقي تولى وظيفة كاتب السر في عهد السلطان الاشرف برسباي في الثامن عشر من جمادى الآخر سنة (828هـ / 1424م) ، تولى منصب وظيفة كاتب السر في الديار

المصرية، بقي في عمله ما يقرب من أربعة أعوام حتى يوم وفاته في أواخر جمادى الأخر سنة(832 هـ/1428م) [59]

7- الشيخ شهاب الدين احمد بن عدنان الحسني الدمشقي، تولى وظيفة كاتب السر يوم الخميس الخامس من ذي الحجة سنة(832هـ/1428م)، وكان من المرجح ان يمضي مدة طويلة في الولاية، لمؤهلاته وغناه، لكن وباء الطاعون، الذي كان منتشرا في هذه السنة داهمه مثل الكثيرين من أهل القاهرة وتوفي في شعبان سنة (833هـ / 1429م) [60] ويذكر ابن تغري بردي انه توفي وهو يوزع القرابين والدعوات بين جمع من الاشراف في الجامع الازهر متصدقاً بما قيمته خمسة الاف درهم [61]

قائمة المصادر والمراجع:

---

(1) النائب الكافل، وهو لقب على القائم مقام السلطان في عامّة أموره أو غالبها ويطلق هذا اللقب في العرف العامّ على كل نائب عن السلطان أو غيره بحضرته أو خارجا عنها في قرب أو بعد، القلقشندي، صبح الاعشى، ج5، ص426.

(2) السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص130؛ عبد المنعم ماجد، دولة سلاطين المماليك ورسومهم، ص43.

(3) عبد المنعم ماجد، سلاطين المماليك ورسومهم، ص45.

(4) المقريزي، الخطط، ج2، ص346.

(5) شاد الدواوين، أو شد الدواوين، وموضوعها أن يكون صاحبها رفيقا للوزير متحدّثا في استخلاص الأموال، القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص23.

(6) البطاوي، احمد حسن، أهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، (القاهرة، 2007م) ، ص16.

(7) البطاوي، أهل العمامة في مصر، ص16.

(8) المقريزي، الخطط، ج3، ص389- 390.

(9) المقر يزي، السلوك، ج5، ص102.

(10) المقريزي، السلوك، ج5، ص286.

(11) المقريزي، السلوك، ج5، ص128؛ ابن حجر ،الدرر الكامنة، ج1، ص35.

(12) ابن حجر ، أنباء الغمر، ج1، ص524؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص66؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص36.

(13) المقريزي، السلوك، ج6، ص238؛ ابن حجر ، انباء الغمر، ج3، ص76.

([14]) ارغون شاه النوروزي، أرغون شاه بن عبد الله النوروزي، الوزير الاستادار الأعور، أصله من مماليك الأمير نوروز الحافظي، اشتراه وأعتقه، وجعله استاداره، ودام بخدمة أستاذه إلى أن ولى نيابة دمشق، ، في سنة (815هـ/ 1412م) ، باشر أرغون شاه استادارية أستاذه الأمير نوروز واستطال به وطال، ولا سيما لما تسلطن الملك المؤيد شيخ المحمودي بعد خلع المستعين بالله وخرج أستاذه الأمير نوروز عن طاعة المؤيد فعند ذَلِكَ أظهر أرغون شاه من الظلم والعسف بدمشق وأعمالها، واستولى عَلَى الأوقاف والأملاك، فاستمر أرغون شاه إلى أن خلع عليه باستقراره وزيرا مضافاً إلى الاستادارية وذلك بعد أن فر الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن كاتب المناخات، فباشر الوظيفتين إلى الثامن والعشرين من شوال سنة (826هـ/1422م)، ثم استقر في استادارية السلطان إلى أن توفي في الحادي والعشرين من شهر رجب سنة (840هـ/1436م)،ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج2، ص324-327؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص267-268.

([15]) المقريزي، السلوك، ج7، ص51؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص258.

([16]) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص259.

([17]) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص399-400

([18]) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص383.

([19]) المقريزي، السلوك، ج5، ص39.

([20]) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص351-352.

([21]) البطاوي، اهل العمامة في مصر، ص26.

([22]) السبكي، معيد النعم، ص33-34.

([23]) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج5، ص207.

([24]) زامل، امير آل فضل،زامل بن مهنا، الأمير زين الدين، أمير عرب آل فضل، كان جليل القدر، محترماً في الدول، معظماً عند الملك الظاهر برقوق إلى أن توفي في سنة (791هـ/ 1388م)، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص362.

([25]) المقريزي، السلوك، ج5، ص165؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص210.

([26]) ابن حجر ، انباء الغمر، ج1، ص438.

([27]) المقريزي، السلوك، ج5، ص240؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص492.

([28]) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص118.

([29]) الفاسي، ذيل التقيد بالسنن، ج2، ص144؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي ، ج7، ص333

([30]) المقريزي، السلوك، ج5، ص436؛ ابن تغري بردي، المهل الصافي، ج3، ص335.

([31]) المقريزي، السلوك، ج6، ص117

([32]) القلقشندي، صبح الاعشى، ج11، ص334.

([33]) البطاوي، أهل العمامة في مصر، ص23.

([34]) البطاوي، المرجع نفسه، ص23.

([35]) المقريزي، السلوك، ج6، ص160.

([36]) المقريزي، السلوك ، ج6، ص151؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص107.

([37])جمال الدين محمود بن علي، محمد بن محمود بن علي بن أصفر، عينه الأمير ناصر الدين بن الأستادار جمال الدين صاحب المحمودية باشر نيابة إسكندرية وقتل في ليلة الأحد ثالث ذي القعدة سنة(810هـ/ 1407م) السخاوي، الضوء اللامع، ج10 ، ص44.

([38]) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص105؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص65.

([39]) الكارم، أصلها الكانمي نسبة إلى الكانم وهي فرقة من السودان كانوا بمصر يتاجرون بالبهار المجلوب من اليمن ، الشربيني، البيومي إسماعيل ، النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م ، ص 403، سيشار إليه فيما بعد ، إسماعيل ، النظم المالية .

([40]) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص339؛ السخاوي ، الضوء اللامع، ج1، ص15.

([41]) القلقشندي، صبح الاعشى، ج1، ص149.

([42]) كاتب الدست، وهو الذي يجلس مع كاتب السرّ بدار العدل أمام السلطان أو النائب بمملكة من الممالك، ويوقّع على القصص، القلقشندي، صبح الاعشى، ج5، ص436.

([43]) كتاب الدرج، وهم الذين يكتبون ما يوقّع به كاتب السر أو كتّاب الدست أو إشارة النائب أو الوزير، أو رسالة الدوادار ، القلقشندي، صبح الاعشى، ج1، ص172.

([44]) ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص446؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص132.

([45]) المقريزي، السلوك ، ج6، ص333؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج2، ص335؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص137.

([46]) المقريزي، السلوك ، ج6، ص225.

([47]) البهاء البرجي، محمد بن حسن بن عبد الله البدر بن البهاء بن البدر بن البرجي سبط السراج البلقيني، وقد ولي حسبة القاهرة غير مرة. وولى وكالة بيت المال ونظر كسوة الكعبة وباشر نظر عمارة الجامع المؤيدي، توفي يوم الخميس العاشر من شهر صفر سنة (824هـ/ 1421م)،المقريزي، السلوك،ج7، ص48؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص72.

([48]) ابن حجر، انباء الغمر، ج2، ص190؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص63.

([49]) ابن حجر ، أنباء الغمر، ج3، ص39.

([50]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج14، ص161؛

([51]) المقريزي، السلوك ، ج6، ص341؛

([52]) ابن حجر، أنباء الغمر، ج3، ص233.

([53]) السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص138.

([54]) المقريزي، السلوك، ج7، ص83.

([55]) الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص20.

([56]) المقريزيِ السلوك، ج7، ص83؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج14، ص255.

([57]) المقريزي، السلوك، ج7، ص83؛

([58]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج14، ص256.

([59]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج14، 274؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص68.
([60]) المقريزي السلوك، ج7، ص196؛ ابن حجر انباء الغمر، ج3، ص440؛
([61]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج14، ص343.